SANA'A
CENTER FOR STRATEGIC STUDIES
مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية

صنعاء، أحد أعرق كنوز البشرية، يجب ألّا تكون الضحية التالية لحرب إيران

صنعاء، أحد أعرق كنوز البشرية، يجب ألّا تكون الضحية التالية لحرب إيران

لارا أولنهاوت

16 مارس، 2026

تعليق الصورة: مدينة صنعاء القديمة، 30 يوليو/تموز 2020 // من ملفات صور مركز صنعاء.

مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية هو مركز أبحاث مستقل يسعى إلى إحداث فارق عبر الإنتاج المعرفي، مع تركيز خاص على اليمن والإقليم المجاور. تغطي إصدارات وبرامج المركز، المتوفرة باللغتين العربية والإنجليزية، التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية، بهدف التأثير على السياسات المحلية والإقليمية والدولية.

جميع الحقوق محفوظة © 2026، لـ مركز صنعاء للدراسات الإستراتيجية.

تستمر الحرب على إيران في إشعال المنطقة، بينما يظل اليمن غائباً بشكل ملحوظ عن هذا التصعيد. والحوثيون في مرمى الأنظار، وهم حتى الآن يتحاشون الانجرار إلى هذه الحرب. لكن إن هم تحركوا، أو أقدمت إسرائيل والولايات المتحدة على ضرب اليمن دون استفزاز، فما يتهدد صنعاء، جوهرة اليمن وإحدى أعرق المدن الحية والأكثر حفاظاً على تراثها، يجب أن يستنفر الجميع. وما ألحقته الضربات الأمريكية والإسرائيلية الأسبوع الماضي من دمار بقصر كلستان في طهران العريق الذي يعود تاريخه إلى أربعة قرون، وما يتواصل من خراب يطال جنوب لبنان وما يحويه من مواقع أثرية فينيقية ورومانية تعود إلى آلاف السنين — كل ذلك درس ينبغي استيعاب عبره جيداً. أما صنعاء، المدينة التي لا تقلّ ثقلاً حضارياً عن القدس، فقد تكون اليوم أمام أعظم اختباراتها حتى الآن.

صنعاء من أعرق العواصم الحية في العالم؛ مدينة تعود أصولها العمرانية إلى ما يزيد على ألفين وخمسمائة عام، وتحتضن واحداً من أكثر الإرث المعماري في المنطقة تناسقاً وأثرى تعبيراً. وفي عام 1968 صنّفت اليونسكو مدينتها القديمة موقعاً للتراث العالمي. وكسائر حواضر العالم العربي، هي عاصمة متشعبة صاخبة، لكنها تحمل اليوم ندوب الحرب. فمنذ أكثر من عقد واليمن رهينة نزاع مستعصٍ أفضى إلى تفككها، في ظل أطراف متقاتلة وداعمين إقليميين يتجاذبون السيطرة عليها. بيد أن صنعاء ليست الموصل، وليست حلب؛ فموروثها المعماري واسع مذهل لا يزال حياً بأهله، وكثير منه باقٍ على حاله إلى الآن. ويتخطى النسيج العمراني القديم للمدينة حدود المنطقة المصنّفة من قِبَل اليونسكو وما تضمّه من معالم كباب اليمن وباب شعوب وباب السبح، ليشمل نسيجاً حياً من الأحياء العتيقة والمناطق التاريخية التي تمتد لأميال حتى أطراف وسط صنعاء.

والمفارقة المذهلة أن هذا الإرث التاريخي نجا من عقد كامل من الصراع، ومن حملة القصف المدمّرة التي شنّها التحالف بقيادة السعودية عام 2015، ومن الفيضانات الصيفية المتكررة، ومن الإهمال الذي تفرضه الحرب على المدن. غير أنه في العامين الأخيرين باتت صنعاء، التي يسيطر عليها الحوثيون منذ 2014 وتبقى رمزاً للهوية لدى كل اليمنيين، تتعرض لضربات بريطانية وأمريكية وإسرائيلية، وقد أصابت الضربات الإسرائيلية الأخيرة عمق قلبها التاريخي.

ففي سبتمبر الماضي، وبعد أسابيع من اغتيال رئيس وزراء الحوثيين وعدد من أعضاء مجلس الوزراء، شنّت إسرائيل ضربة استهدفت مقر إحدى المؤسسات الإعلامية في صنعاء، أودت بحياة 31 صحفياً وعاملاً في قطاع الإعلام، لتكون الضربة الأكثر دموية بحق الصحفيين خلال ستة عشر عاماً. وما غاب عن معظم التقارير آنذاك أن المبنى كان يقع في حيٍّ مكتظ بالسكان، ملاصق للمدينة القديمة المحمية، وعلى أرض قصر المتوكل الملكي الذي يضم المتحف الوطني. وقد أحدثت الضربات موجات ارتدادية هزت أرجاء الحي التاريخي المحيط، فخلّفت أضراراً في المساجد الأثرية والمنازل القديمة، وحطّمت القمريات العتيقة ونوافذ الرخام الشفاف، وخلّفت دماراً واسعاً في محيطها.

إن التهديد الذي تواجهه المدن العريقة في المنطقة وما يتعرض له تراثها الحضاري من نهب لا يقتصر على ما يلحق بالمباني أو بمواقع التراث العالمي المصنّفة لدى اليونسكو. فلهذه المدن أرواح قديمة تذكّرنا بإنسانيتنا المشتركة وتشهد على إرثنا الحضاري الجامع. في مطلع الألفينيات، زارني والدي الراحل في صنعاء، المدينة التي سكنتها لأكثر من خمس سنوات. وما إن حطّ به الرحال في مطار صنعاء حتى أخذته في جولة عبر المدينة القديمة؛ شققنا طريقنا في أزقتها الضيقة وأسواقها ومكشاماتها وسماسرها العتيقة، نمرّ بصفوف من البيوت البرجية المشيّدة بالحجر والطابوق المحروق، تلك التي باتت علامة فارقة في العمارة اليمنية. كثير من هذه البيوت تعود إلى القرنين العاشر والثاني عشر الميلاديين، وترتفع طوابقها إلى خمسة وستة وسبعة أدوار، تزيّن واجهاتها نقوش جبسية بيضاء دقيقة ونوافذ ملوّنة تُعرف في اليمن بالقمريات. حين بلغنا أطراف الجامع الكبير، توقف والدي فجأة ليرتكز على عقد قوس قديم. كان في أواخر الستينيات من عمره وقد بدأت تظهر عليه أولى علامات مرض باركنسون. ظننت أن وعثاء السفر قد أنهكته، لكن تبيّن لي أن المدينة القديمة قد لامست شغاف روحه. قال: "أعطني لحظة. أريد أن أستوعب هذه المدينة".

نميل عادةً إلى تجاهل الحديث عن ما يتهدد المدن العريقة ومعالمها وتراثها حين تُزهق الأرواح بهذا الحجم المروّع. لكن حين ينجلي الغبار ونستوعب الحجم الحقيقي للكارثة التي تخلّفها هذه الحملات المتهوّرة، سندرك أن إرث الماضي السحيق، ذلك الموروث الذي يخصّنا جميعاً، يُباد بتهور على أيدي قادة لا تحرك بوصلتهم الأخلاقية سوى السلطة والجشع. وعلى مدى العقد الماضي، تضرّر التراث الثقافي اليمني، الذي يُعدّ من أغنى إرث في المنطقة بل وفي العالم، تضرراً بالغاً جراء الصراع. وأربعة من مواقعه الخمسة المصنّفة لدى اليونسكو مدرجة حالياً على قائمة التراث العالمي في خطر. وفي حسابات ما إذا كانت اليمن ستنزلق إلى هذه الحرب أم لا، وهو قرار لا يملكه اليمنيون للأسف، ينبغي ألّا يغيب عن الأذهان التهديد الوجودي الذي يطال الإرث الحضاري الحي الذي لا نظير له في اليمن، وتاجه الذي لن يكون سوى صنعاء.

لارا اولينهاوت *هي محررة في مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية. استقرت في عدد من بلدان الوطن العربي حيث عملت كمستشارة للشؤون الجنسانية والتنمية في فرع منظمة العمل الدولية باليمن و كمحررة في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات في بيروت. لارا حاصلة على درجة الماجستير في الأنثروبولوجيا ودراسات التنمية من كلية الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن ودرجة البكالوريوس في الأدب الإنجليزي من جامعة كنت.*

صدر هذا المقال في إطار المرحلة الثانية من منتدى سلام اليمن، وهو مبادرة أطلقها مركز صنعاء تهدف إلى تمكين الجيل القادم من الشباب اليمني وناشطي المجتمع المدني من المشاركة الفاعلة في القضايا الوطنية المصيرية. ويحظى المنتدى بتمويل من حكومة مملكة هولندا.

SANA'A
CENTER FOR STRATEGIC STUDIES
مركز صنعاء للدراسات الاستراتيجية

WWW.SANAACENTER.ORG